الباب الرابع

التفوق العقلي وموقع الذكاء

الهدف:

يُعد التفوق العقلي مؤشراً هاماً من مؤشرات التفوق، ونظراً لتعدد المباحث والدراسات الخاصة بالتفوق العقلي، فقد كان هناك العديد من البحوث التي أقيمت في ميدان التفوق العقلي، الأمر الذي استتبع وجود العديد من المصطلحات التي استخدمت في الإشارة إلى الأفراد المتفوقين عقلياً مثل (كمال - ١٩٨٤م):

متقدم Advanced، موهوب Talented, Gifted، ذكي أو لماح Bright عبقري Genius، بارز أو مشهور Eminence، إلى غير ذلك من المصطلحات (شيفل، ١٩٥٨م)، (عبد الغفار، ١٩٧٧م)، (بروكز Brooks، ١٩٨٠م)، (معوض، ١٩٨٠م)، (مرسي، ١٩٨١م)، (أحمد، ١٩٨١م)، (هالاهان Hallahan، ١٩٨٢م).

وقد شاع استخدام الكثير من هذه المصطلحات من قبل، ثم تم تعديل لمسميات، والبعض منها شاع استخدامه في النصف الثاني من القرن العشرين، إلا أن كل من هذه المصطلحات أُستخدمت استخداماً مختلفاً باختلاف طبيعة البحث، بل إن المصطلح الواحد استخدم أكثر من استخدام؛ ليوُحي بمعانٍ مختلفة للتفوق، فقد سبقت الإشارة إلى ما أشار إليه تورانس Torrance من أنه ليس هناك اتفاق محلي أو عالمي

على مصطلح مثل الموهبة Giftedness، فالبعض استخدمه بمعنى التفوق العقلي وركز على الذكاء والتحصيل الدراسي، والبعض الآخر استخدمه بمعنى الإبداع وركز على قدرات الأصالة والمرونة والطلاقة، والبعض استخدمه بمعنى المواهب الخاصة وركز على الموسيقى والتفوق في الأدب والرياضيات وغيرها (تورانس ١٩٧٥م).

واختلاف الباحثين في تعريف التفوق العقلي يحمل اختلافاً جوهرياً في النظرة إلى طبيعة التفوق العقلي من حيث:

١- تطور النظرة إلى التكوين العقلي للفرد.

٢- ومن حيث مجالات النشاطات العقلية المختلفة.

المحتوى:

الفصل السابع عشر: آراء علماء المسلمين في التفوق العقلي.

الفصل الثامن عشر: التفوق العقلي ومستوى الذكاء.

الفصل التاسع عشر: التفوق العقلي ومستوى التحصيل.

الفصل العشرون: الذكاء أساس النجاح والتفوق للشخصية.

الفصل السابع عشر

آراء العلماء المسلمين في التفوق العقلي

تمهيد:

يُعد كتاب الأذكياء لمؤلفه " أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي " من الكتب التي حوت الكثير حول الذكاء وتحديد خصائصه وسماته، باعتبار الذكاء دليل التفوق العقلي.

وهو كتاب يُنصح بقراءته لبيان آراء السلف في الذكاء، مما يدل على أن السلف كان لهم رأي صائب في العقل وخصائصه وماهية العقل ومحله، ومعنى الذهن والفهم والذكاء، وهذا ما نتناوله في بعض ما ورد في هذا المؤلف؛ لإيضاح مساهمات السلف في معرفة مكون العقل وخصائص الذكاء.

فضل العقل:

تعنى مميزات العقل الذي حبا به الله تعالى الإنسان، دون سائر المخلوقات (أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد والقزاز قالا أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال إن محمد بن أحمد بن رزق قال حدثنا جعفر بن محمد الخلدي قال حدثنا بن أبي أسامة قال حدثنا ابن عباس أنه دخل على عائشة - رضي الله عنها - فقال يا أم المؤمنين أرأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده، وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده، أيهما أحب إليك؟ قالت سألت رسول الله (عليه الصلاة والسلام) كما سألتني عنه فقال أحسنهما عقلاً، قلت يا رسول الله أسألك عن عبادتهما، فقال يا عائشة إنما يُسألان عن عقولهما، فمن كان

أعقل. وعن وهب بن منبه قال: إني وجدت فيما أنزل الله على أنبيائه أن الشيطان لم يُكابد شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل، وأنه يكابد مائة جاهل فيستجرهم حتى يركب رقابهم فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيصعب عليه حتى لا ينال منه شيئاً من حاجته.

وعن لقمان عليه السلام قال لابنه: يا بني اعقل عن الله عز وجل، فإن أعقل الناس عن الله عز وجل أحسنهم عملاً، وإن الشيطان ليفر من العاقل وما يستطيع أن يكابده. يا بني ما عبد الله بشيء أفضل من العقل.

أخبرنا محمد قال أخبرنا أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبد عن معاوية بن قرة يقول: إن القوم ليحجون ويعتمرون ويجاهدون ويصلون ويصومون وما يعطَون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم.

ماهية العقل ومحله:

قيل إن العقل غريزة، وقيل إنه نور، وقال آخرون هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات، وقال آخرون هو نوع من العلوم الضرورية، وهو العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وقال آخرون هو جوهر بسيط، وقال آخرون هو جسم شفاف، وسئل أعرابي عن العقل فقال لب اغتنمته بتجريب. (واعلم) أن التحقيق في هذا أن يُقال هنا الاسم اعنى العقل ينطلق بالاشتراك على أربعة معان: أحدهما الوصف الذي يُفارق به الإنسان البهائم وهو الذي استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده من قال غريزة وكأنه نور يقذف في القلب يستعد به لإدراك الأشياء، والثاني ما وُضع في الطباع من العلم بجواز الجائزات واستحالة

المستحيلات، والثالث علوم تُستفاد من التجارب تُسمى عقلاً، والرابع أن منتهى قوته الغريزية إلى أن يقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة. والناس يتفاوتون في هذه الأحوال، إلا في القسم الثاني الذي هو العلم الضروري، وما اشتقاق هذا الاسم - أعنى العقل - فقيل أصله الامتناع، يقال عقلت الناقة، إذا منعتها من السير، وعقل بطن الرجل إذا انحبس (فصل)، وأما محل العقل فنقل الفضل بن زياد عن أحمد أن محله الدماغ، وهو قول ابي حنيفة، وذهب جماعة من أصحابنا إلى أنه في القلب كما يروى عن الشافعي، واستدلوا بقوله تعالى: "فتكون لهم قلوب يعقلون بها"، وقوله تعالى: ﴿ لمن كان له قلب ﴾ أي عقل، فعبر بالقلب عنه لأنه محله.

معنى الذهن والفهم والذكاء:

حد الذهن (أي استعداد الذهن) هو قوة النفس المهيأة المستعدة لاكتساب الآراء. وحد الفهم جودة التهيؤ لهذه القوة. وحد الذكاء جودة حدس من هذه القوة تقع في زمان قصير غير مهمل، فيعلم الذكي معنى القول عند سماعه. وقال بعضهم حد الذكاء سرعة الفهم وحدته والبلادة جموده. وقال الزجاج في اللغة تمام الشيء ومنه الذكاء في السن وهو تمام السن، ومنه الذكاء في الفهم وهو أن يكون فهماً تاماً سريع القبول، وذكيت النار إذا أتممت إشعالها.

أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن البناء، وحدثنا عنه المبارك بن علي قال أخبرنا القاضي أبو علي محمد بن الحسين، قال أخبرنا إسماعيل بن سويد، قال أخبرنا أبو بكر بن الأنباري قال: قولهم فلان ذكي: معناه كامل الفطنة تامّها، من قول العرب قد ذكت النار تذكو إذا تم وقودها، ويُقال

اذكيتها أي إذا أتممت وقودها، ويُقال مسك ذكي إذا كان تام الطيب كـ مل نفاذ الريح.

والعرب تقول جرى المذكيات غلاب أي جرى المسان مغالبه، وذلك أن المذكية من الخيل وهي التي تمت قوتها وشبابها تحمل على الخشن من الأرض للثقة بقوتها وصلابتها، وأنها ليست كالجذاع والصغار التي تطلب لها الرخاوة من الأرض لضعفها وصغرها، فإنها لا تثبت ثبات المذكيات، وبعضهم يقول جرى المذكيات غلاء، والغلاء جمع غلوة وهو مدى الرمقة (قال الشاعر) في الذكاء الذي معناه تمام الفطنة:

سهم الفؤاد ذكاؤه ما مثله عند العزيمة في الأنام ذكاء

(وقال زُهير) في الذكاء الذي معناه تمام السن.

ويُفضلها إذا إجتهدت عليه تمام السن منه والذكاء

والذكاء في هذين المعنيين ممدود، والذكاء تمام اتقاد النار مقصور يكتب بالألف قال الشاعر:

وتضرم في القلب اضطراماً كأنه ذكا النار تر فيه الرياح النوافخ

العلامات التي يستدل بها على عقل العاقل وذكاء الذكي:

(قال مؤلف الكتاب) (ابن الجوزي) هذه العلامات تنقسم قسمين: أحدهما من حيث الصورة والثاني من حيث المعنى والأحوال والأفعال.

(ذكر القسم الأول) قال الحكماء الخُلق المعتدل والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل وجودة الفطنة، وإذا غلظت الرقبة دلت على قوة الدماغ ووفرته. ومن كانت عينه تتحرك بسرعة وحدّة فهو مكار محتال، وأحمد العيون

الشهل، وإذا لم تكن الشهلاء شديدة البرق ولا يظهر عليها صفرة ولا حمرة، دت على طبع جيد، وإذا كانت العين صغيرة غائرة فصاحبها مكار حسود، ومن كان نحيف الوجه فهو فهم مهتم بالأمور، واللطف في النحاف القصار أطهر، والمعتدلون في الطول صالحو الحال. (هناك السمات الجسمية التي تُعتبر من علامات العقل والذكاء، واتبع ذلك في علم الفراسة).

(أخبرنا) محمد بن عبد الباقي قال أخبرنا أحمد بن أحمد قال خبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني قال حدثنا محمد بن علي قال حدثنا الحسين بن علي بن نصر قال حدثنا محمد بن عبد الكريم قال حدثنا الهيثم بن عدي قال حدثنا ابن عياش قال حدثنا الشعبي قال حدثني عجلان قال لي زياد: أدخل على رجلاً عاقلاً، قلت لا أعرف من تعنى، قال لا يخفى العاقل في وجهه وقده فخرجت، فإذا أنا برجل حسن الوجه مديد القامة فصيح اللسان قلت ادخل فدخل، فقال زياد يا هذا إنني قد أردت مشاورتك في أمر فما عندك، قال إنني حاقن ولا رأي لحاقن قال يا عجلان أدخله المتوضأ فلما خرج، قال إني جائع ولا رأي لجائع قال يا عجلان ائته بالطعام فأتى به فطعم، ثم قال سل عما بدا لك، فما سأله عن شيء الا وجد عنده بعض ما يريد. أخبرنا المحمد أن ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا أخبرنا حمد بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ قال حدثنا عثمان بن محمد قال أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول، سمعت ذا النون يقول من وجدت فيه خمس خصال رُجيت له السعادة ولو قبل موته بسبعتين، قيل ما هي؟ قال: استواء الخُلق، وخفة الروح، وغزارة العقل، وصفاء التوحيد، وطيب المولد.

الاستدلال على عقل العاقل بالأفعال والأقوال :

قال المؤلف (ابن الجوزي) يستدل على عقل العاقل بسكوته وسكونه وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة بها، ومراقبته للعواقب فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر ، وتراه ينظر في الفضاء، الأعلى، والأحمد عاقبة من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل، ويترك ما يخاف ضرره ويستعد لما يجوز وقوعه .

(أنبأنا) يحيى بن ثابت بن بندار قال أخبرنا الحسن بن الحسين قال أخبرنا مخلد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن على القطان قال أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار قال أخبرنا أبو حذيفة بن بشر القرشي، قال أخبرنا جعفر بن الحرث عن شهر بن حوشب قال. قال أبو الدرداء ألا أنبئكم بعلامة العاقل: يتواضع لمن فوقه ولا يذدري من دونه، يُمسك الفضل من منطقه، يُخالق الناس بأخلاقهم، ويحتجز الإيمان فيما بينه وبين ربه عز وجل، يمشي في الدنيا بالتقية والكتمان .

قال القرشي وأخبرني إدريس عن وهب بن منبه أن لقمان قال لابنه : يا بني ما يتم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال :

الكبر منه مأمون، والرشد فيه مأمول، يصيب من الدنيا القوت، وفضل ماله مبذول، التواضع أحب إليه من الشرف، والذل أحب إليه من العز، لا يسأم من طلب الفقه طول دهره، ولا يتبرم من طلب الحوائج من قبله، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، والخُصلة العاشرة التي بها مجده وأعلى ذكره، أن يرى جميع أهل الدنيا خيراً منه، وأنه

شرهم وإن رأى خيراً منه سره ذلك، وتمنى أن يلحق به وإن رأي شراً منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا، فهنالك حين استكمل العقل. وقال المهلب بن أبي صفرة: يعجبني أن أرى عقل الكريم زائداً على لسانه، ولا يعجبني أن أرى لسانه زائداً على عقله.

الفصل الثامن عشر

التفوق العقلي ومستوى الذكاء

الواقع أنه منذ أمد بعيد ارتبط التفوق العقلي بتحديد مستوى الذكاء واستمر هذا الاتجاه لفترة طويلة، حيث اهتم العلماء والباحثون في النصف الأول من هذا القرن بالذكاء وقياسه (كمال - ١٩٨٤م) وقاموا بتحديد التفوق العقلي على أساس معاملة ذكاء معين كما تقيسه اختبارات الذكاء، ومن أول وأهم الدراسات التي اعتمدت على القدرة العامة في التعرف على المتفوقين تيرمان وأدون (١٩٢١م) وهولنجورث Holling worth (١٩٣١م)، ودنلاب Dunlap (١٩٤٥م)، وبالدوين Baldwin (١٩٦٣م) وغيرهم. ومع أن هؤلاء الباحثين قد اعتمدوا على الذكاء العام كمحك للتعرف على المتفوقين، إلا أنه كان هناك الاختلاف في تحديد نسبة ذكاء المتفوق ودرجة شيوع تفوقه بين أفراد الشعب الواحد في السن المعين (حامد الفقي، ١٩٨٣م)، فقد استخدم تيرمان Terman في دراسته الطويلة الذكاء كمحك للتفوق العقلي، وقد استخدم مصطلح العبقرية مرادفاً للتفوق العقي، وفقد عرف تيرمان المتفوق عقليا بأنه: من لا يقل معامل ذكائه عن ١٤٠ فأكثر باستخدام مقياس ستانفورد بينيه (تيرمان، ١٩٤٧م).

الذكاء كمحك للتفوق العقلي:

كما استخدمت هولنجورث Hollingworth الذكاء كمحك للتفوق العقلي، رغم أن تعريفها للتفوق كان في ضوء القدرة على التعلم، حيث عرفت الطفل المتفوق بأنه "الطفل الذي يتعلم بقدرة وسرعة تفوق بعض الأطفال" وقد يُعبر عن هذه القدرة على التعلم في مجال الفنون كالموسيقي

أو الرسم، وقد توجه هذه القدرة إلى المجالات الميكانيكية، أو قد تكون في مجال المجردات والتحصيل.

معايير الذكاء ومستويات التفوق العقلي:

وهناك من العلماء من ميز بين ثلاثة مستويات للتفوق على أساس معيار الذكاء:

١- الأطفال الذي يتراوح ذكاؤهم ما بين ١٢٠، ١٢٥ وأكثر ويُطلق عليهم متفوق ويُمثلون حوالي ٥ - ١٠٪ من المجتمع.
٢- فئة الموهوبين الذين يتراوح ذكاؤهم ما بين ١٣٥، ١٤٠ وأكثر.
٣- وفئة الموهوبين بمعدل عال حيث يتراوح ذكاؤهم ما بين ١٧٠ : ١٨٠ فأكثر، وهم يمثلون حوالي ١ - ٣٪ من المجتمع (جيرسيلد Jersild، ١٩٦٨م)، (كروكشانك، ١٩٧١م).

وبالرغم من هذا فقد وجهت اعتراضات كثيرة على هذه الطريقة في تحديد مفهوم التفوق العقلي، حيث بينت وجهات النظر المختلفة مدى قصور مقاييس الذكاء التقليدية في إعطاء صورة كلية للمستوى الوظيفي العقلي للفرد. حيث تبين أن اختبارات الذكاء الحالية تقيس حوالي اثنتى عشرة قدرة عقلية فقط، في حين أن جيلفورد أشار إلى أن العقل مكون من مائة وعشرين قدرة (جيلفورد -١٩٥٩م)، (تايلور Taylor- ١٩٧٥م). ويقول جيلفورد: "إن فحص مضمون اختبارات الذكاء يكشف أنها ذات طبيعة إبداعية ضئيلة جداً (جيلفورد، Guilford - ١٩٥٠م).

وانتقد آخرون اختبارات الذكاء بسبب اهتمامها بنظم القيم الأكاديمية

التقيدية، فيري سميلي D. Smillie (١٩٥٩م) أن التصورات المحددة للذكاء كما تُمثلها الاختبارات لبينيه، وبين ويكسلر تخفي السمات الفردية والخلاقة لأولئك الذين لا يُطابقون الأنماط التي تقيسها هذه الاختبارات.

وهناك دراسات عديدة نخلص منها إلى أنه يمكن القول إن الاقتصار على الذكاء كمحك لتحديد التفوق أمر لا يتفق مع ما توصل إليه العلم في مجال النشاط العقلي.

الفصل التاسع عشر

التفوق العقلي ومستوى التحصيل

تمهيد:

نظراً لمشكلة استخدام مقياس الذكاء في تشخيص التفوق العقلي، لجأ بعض الباحثين إلى استخدام ارتفاع مستوى أداء الفرد كمعيار للتفوق في مجال أكاديمي أو غير أكاديمي (جوزال، ١٩٨٤م). لذلك نعرض كيف ساهمت الدراسات في تحديد التفوق العقلي على أساس مستوى التحصيل الأكاديمي أو غير الأكاديمي.

مستوى التحصيل الأكاديمي والتفوق العقلي:

عرف باسو Passow، ١٩٥٦م) التفوق العقلي بأنه "القدرة على الامتياز في التحصيل أو القدرة على التحصيل الفذ. لذلك يتضح من التعريف السابق اعتماده على مستوى التحصيل فقط لتحديد المتفوقين سواء كان ذلك ظاهراً أم كامناً.

وقد عرف كل من فليجر وبيش Fliegler & Bish (١٩٥٩م) المتفوقين عقليا بأنهم "من يصل تحصيلهم الأكاديمي إلى مستوى يضعهم ضمن أفضل ١٥٪ إلى ٢٠٪ من المجموعة التي ينتمون إليها، وهم أصحاب المواهب التي تظهر في مجال كالرياضيات والمجالات الميكانيكية، والعلوم والفنون التعبيرية والكتابات الابتكارية، القيادة الاجتماعية، ويتضح من هذا التعريف أنه يشمل المجالات الأكاديمية وغير الأكاديمية، ومن ثم فهو يعني التفوق الملموس وليس مجرد التفوق الكامن.

أما كلباترك Kilpatric (١٩٦١م) فيرى أن مفهوم التفوق " يعني الأشخاص الذين يكون أداؤهم ممتازاً بصورة مطردة في مجالات الحياة" . وواضح من هذا التعريف أنه يؤكد على الأداء الممتاز بشرط استمراريته كدليل على التفوق .

ويرى لاستو Lucito (١٩٦٣م) أن المتفوقين عقلياً" هم هؤلاء الطلاب الذين تؤهلهم طاقاتهم العقلية للوصول إلى مستويات مرتفعة من التفكير الانفتاحي والتقويمي، على نحو يسمح لهم بالوصول في المستقبل إلى مستويات مرتفعة من القدرة على حل المشكلات والاختراع وتقويم الثقافة، وذلك إذا ما توفرت لهم الخدمات والإمكانات التربوية المناسبة . ويتضح من هذا التعريف أنه شامل وواسع، وقد ركز على نمو الاستعداد للتفوق في ضوء ما يتيحه المجتمع لهم من عناية .

وقد عرف دير Durr (١٩٦٤م) المتفوقين أنهم " من لديهم استعداد أكاديمي مرتفع ظاهراً أو كامناً" .

أما هيلدرث Hildreth (١٩٦٦م) فقد عرف الطفل المتفوق بأنه " الطفل الموهوب سواء في المجال الأكاديمي أو غير الأكاديمي كالرسم والموسيقى" . كما عرف سفتر Safter (١٩٨٢م) المتفوقين بأنهم " هم أولئك الذين يظهرون قدرات خارقة في أي ناحية من نواحي النمو التي لها قيمة إيجابية لدى المجتمع" .

معايير مستوى التحصيل كأساس للحكم على التفوق العقلي :

من التعريفات السابقة يتبين أن المتفوقين عقلياً هم من يتميزون عن

أقرانهم بمستوى أداء مرتفع في مجال التحصيل الأكاديمي أو في أي مجال من لمجالات الأخرى التي تقدرها الجماعة، وقد استخدم كثير من الباحثين المستوى التحصيلي للفرد كمحك في دراساتهم حول موضوع التفوق العقلي مثل محمد نسيم رأفت (١٩٦١م)، وفلاهيرتي وآخر Flaherty al (١٩٦٣م). ومحمد نسيم رأفت، عبد السلام عبد الغفار، وفيليب صابر (١٩٦٥م، ١٩٦٧م)، (باتروس Pateos (١٩٦٩م)، وأشو O'shea (١٩٦٧م)، وسهير كامل أحمد (١٩٨١م). ويقوم هذا المحك على أساس أن للتعلم المتفوق الذكى سريع التعلم، هو الذي يحصل على درجات عالية في لامتحانات المدرسية التقليدية، ويستخدم التفوق في التحصيل الدراسي كمحك للتفوق في كثير من البلاد العربية، ففي مصر يعتبرون العشرة الأوائل في امتحانات الإعدادية في كل محافظة من الموهوبين والمتفوقين، وفي الأردن يعتبرون الأوائل في مدارسهم من الموهوبين (مرسي، ١٩٨١م).

ومما لا شك فيه أن ارتفاع مستوى الأداء في المجال الأكاديمي يُعبر عن بعض جوانب النشاط العقلي للفرد، فقد تبين من دراسات تيرمان أن العلاقة وثيقة بين الذكاء والتحصيل. كما أكدت دراسة محمد نسيم رأفت (١٩٦١م) هذه النتيجة.

إلا أن الاعتماد على المستوى التحصيلي كمحك واحد، يُثير نفس الإشكالات التي أثارها استخدام الذكاء لتحديد هذا المفهوم، فالتحصيل المدرسي لا يعطي صورة كلية للمستوى الوظيفي العقلي للفرد، فلقد أشار جيتسلز Getsels (١٩٦٢م) إلى أن الاختبارات والتوصيات والترتيب في الفصل، والتي يُعتمد عليها كثيراً عند القبول في الجامعة، مازالت منحازة

لصالح المعلمين الذي يتميزون بقدرات التفكير التقاربي Convergent، وقد طالب بالاهتمام بالمتفوقين في التفكير التباعدي Divergent (تورانس، ١٩٦٩م). كما طالب أيضا بذلك ميدنك Mednick (١٩٦١م) في مؤتمر رابطة التعليم العالي حيث عاب على الجامعات قبولها نوعاً نقياً فقط من محصلي الدرجات، بينما يوجد خارج الكليات أشخاص مرغوب في خصائصهم لفظتهم الجامعات (ميدنك، ١٩٦١م).

وقد أشار تورانس Torrance إلى أهمية الأسلوب الذي يدرس به الأطفال، فهناك بعض المواقف التعليمية يدرسون فيها بأسلوب يجعلهم يتعلمون بأسلوب ابتكاري، وبهذا تصبح قدرات التفكير الابتكاري ذات أهمية في التعليم، وفي مواقف أخرى يتعلمون بالتلقين، ويزداد الاهتمام بالذاكرة والامتثال للمعايير السلوكية، وبهذا تصبح قدرات الذكاء ذات أهمية أكثر في التحصيل (تورانس، ١٩٦٩م).

الأداء الابتكاري والتحصيل الدراسي:

وقد وجد هولاند Holland (١٩٦١م) أن الأداء الابتكاري لا علاقة له عموماً بالتحصيل والاستعداد الدراسي، كما بين هولاند وريتشاردز Holland & Richards (١٩٦٧م) بناء على مجموعة من الأبحاث أنه لا توجد أي علاقة تذكر بين الإنجاز الأكاديمي والإنجاز غير الأكاديمي. ومن ثم استنتج من ذلك أن الاعتماد على مقاييس كوامن القدرة الأكاديمية يؤدي إلى فقدان الكثير من ذوي النبوغ غير الأكاديمي (هولاند، ١٩٦١م)، (هولاند وآخر، ١٩٦٧م).

وفي دراسة لدريوس Drews (١٩٦١م) على ثلاث مجموعات للتفوق تضم:

١- مجموعة القادة الاجتماعيين.

٢- المفكرين المبتكرين.

٣- المجتهدين في التحصيل.

تبين أن أقل الدرجات كانت من نصيب المفكرين المبتكرين، ومن ثم أشار إلى أن الاعتماد على اختبارات التحصيل وحدها، يجعلنا نهمل هذه الفئة.

وقد وجه كثير من النقد لاختبارات الذكاء، والاستعداد الدراسي على أساس نواحي القصور الكامنة في اختبارات الاختيار المتعدد.

فقد بين فيرونون Vernon (١٩٧٠م) الحاجة إلى تكميل الاختبارات الموضوعية باختبارات من النوع الذي يتطلب الإجابة المبتكرة (تورانس Tor-rance، ١٩٦٩م)، وقد ذكر هوفمن Hoffman (١٩٦١م) العديد من عيوب هذه الامتحانات وبين أنها تحرم الإنسان المبتكر من فرصة عادلة للإفصاح عن قدراته الابتكارية (هوفمن، ١٩٦١م). وقد رجحت دراسة بنتلي Bentley (١٩٦٦م) هذه الآراء حيث إن معظم التقويم الذي يتم اليوم يتكون من أسئلة تعتمد على الذاكرة أو المعرفة أو التفكير التقاربي، وقرر أن الاعتماد على هذه الاختبارات قد يظلم المتعلم ذا المواهب الابتكارية، ويبلغ الظلم مداه عندما يكون المتعلم المتفوق في الابتكار متوسط الذكاء ولا يملك أي قدرات عالية في الذاكرة أو المعرفة أو التفكير التقاربي.

كما يشير أولسون Olson إلى أن كثيراً من المواهب التي تكتشف متأخرة عندما يرجع إلى سجلاتها المدرسية نجد أنها كانت تحتل مراكز متأخرة في دراستها (أولسون، ١٩٦٢م). كما أشار بارب وجوزيف Barbe & Joseph (١٩٧٥م) إلى أن تأثر التحصيل الدراسي بعوامل كثيرة غير الذكاء يجعل التفوق في التحصيل ليس مرادفاً للتفوق في الذكاء، فقد يتفوق بعض المتعلمين العاديين في التحصيل الدراسي لمثابرتهم وجدهم في الدراسة، ولا يتفوق بعض المتعلمين العاديين الأذكياء بسبب أحوالهم الأسرية والمدرسية (بارب وآخر، ١٩٧٥م). ويُضاف إلى ما سبق أن من عيوب الامتحانات المدرسية التقليدية ضعف ثباتها وصدقها، مما يجعلنا لا نطمئن إلى الدرجات التي يحصل عليها المتعلم في الحكم على مستوى تحصيله، فقد يحصل على درجات عالية أو منخفضة بالصدفة (مرسي - ١٩٨١م).

لذلك اتجه اهتمام العلماء والباحثين إلى مجال الابتكار، وخصوصاً منذ بداية النصف الثاني من هذا القرن.

الفصل العشرون

الذكاء أساس النجاح والتفوق للشخصية

تمهيد:

يُعتبر الذكاء قدرة القدرات العقلية المعرفية التي تشكل التنظيم الهرمي الأسـسي للنشاط العقلي. والنشاط العقلي عند تميزه وتفوقه يُعد أساس التفوق العقلي. هذا ويُعد الذكاء أساس النجاح والتفوق للشخصية.

الذكاء والنجاح:

الهدف من قياس الذكاء هو اكتشاف أهم العوامل التي تُحدد مستويات النجـح في الدراسة أو في المهنة، أو في الحياة بوجه عام. وقد أمكن تحديد الصلة الوثيقة بين الذكاء والنجاح. لكن هذه الصلة تُفسر كل ما نهدف إليه. ولقـد دلت الأبحاث المتواترة على أن الذكـاء من أهـم العـوامل التي تُحـدد مستويات النجاح. لكنه ليس هو العامل الوحيـد. إذن فالذكـاء وحده لا يكفي لتـفسير ظاهرة النجاح، لأنه ليس كل مـا يُحدد حياة الفـرد. فالفرد يخضـع في حياته لكل مكونات شخصيته. وكما يخضع النجاح لمستوى ذكاء الفرد، فهو يخضع أيضاً لمستوى طاقته البدنية، واتزانه الانفعالي، واتجاهاته النفسـية.

ولقد استُخدمت مقاييس الذكاء بانتشار واسع له إيجابياته مع مطلع هذا القرن، وتدل الآثار الإيجابية على خصوبة الأبحاث التي تصدت لدراسة ظاهرة الذكاء. وبذلك طغي هذا النجاح على النواحي الأخرى للشخصية. وعندما اتجه العلماء لدراسة الجوانب الأخرى للشخصية وجدوا أنفسهم أمام

ميادين شائكة لا تستجيب بسهولة ووضوح للطرق التي أثمرت ثمرتها الفعالة في دراسة الذكاء.

وعند توخي الموضوعية العلمية في أبحاث الذكاء، يمكن الوصول إلى أهداف محددة واضحة. وعند تطبيق الطرق التي تستخدم في دراسة الذكاء على الجوانب الأخرى للشخصية، نجد أنفسنا في مواجهة ميادين تغلب عليها النواحي الموضوعية. ويكفي أن نعلم أنه بينما تصل معاملات ثبات وصدق مقاييس الذكاء إلى ٩ر٠ أو ما يزيد، تهبط هذه المعاملات الخاصة بالثبات والصدق إلى ما يقرب من ٣٠ر٠ بالنسبة للنواحي المزاجية (السيد - ١٩٧٢م).

وهكذا كانت العقبات التي حالت دون تقدم البحث العلمي الموضوعي للجوانب الأخرى للشخصية، ولتحديد لماذا تفوقت أبحاث الذكاء على أبحاث بقية المكونات الأخرى للشخصية الإنسانية.

النجاح والشخصية:

إن النجاح ليس مقصوراً فقط على الذكاء، ولا على قدراته الطائفية: بل إنه يمتد في أبعاده المختلفة ليشتمل على كل مكونات الشخصية.

ويمكن أن نتبين المعالم الأولى لهذه الظاهرة بما فيها من وضوح وغموض.. وضوح النواحي المعرفية، وغموض النواحي المزاجية.

وعند القيام بتحليل النجاح إلى مقوماته الرئيسية، الجسمية، والعقلية، والمزاجية والدينامية، يتحقق الهدف الذي من أجله قامت الأبحاث والدراسات المختلفة في هذا الميدان.

وعندئذ تقترب التنبؤات العلمية من واقعها الصحيح. ويمكن توجيه الفرد توجيهاً صحيحاً شاملاً إلى التعلم الذين يُناسبه، أو المهنة التي يصلح لها، وأيضاً نستطيع أن نختار لذلك النوع من التعليم أو المهن أنسب الأفراد. وعندئذ فقط، نكون، قد كشفنا النقاب عن مجاهيل الطاقة الحيوية.

هذا وقد يُعاب على القياس النفسي، أنه كان موضع اهتمام من علماء النفس ردحاً طويلاً من الزمن، وكان ذلك على حساب معالجة المظاهر الأخرى للشخصية، وبخاصة القياس الخاص بالذكاء والقدرات العقلية الأخرى. لذلك من الأهمية بمكان قياس الجوانب الأخرى للشخصية الإنسانية لتحديد أسس النجاح وأركانه.

ما هية الشخصية:

ما هي الشخصية؟ وما علاقة الذكاء بها؟ وهل هناك علاقة بين التنظيم العقلي المعرفي، والمكونات الأخرى للشخصية؟ وهل تُسفر هذه المكونات عن تنظيمات ونماذج علمية تقترب في جوهرها من التنظيم العقلي المعرفي؟.

إن الشخصية هي التنظيم المتكامل للنواحي الجسمية، والعقلية، والانفعالية، والاجتماعية، وهي كل ما يستجيب به الفرد في اتصاله بالناس، وفي مواجهته للمواقف التي يعيش أحداثها. وهكذا يُصبح الذكاء وقدراته الطائفية أحد المحددات الرئيسية للشخصية. وحيث إن الذكاء ركن من أركان الشخصية، وأنه يُسفر وقدراته عن تنظيم هرمي واضح، إذن فما الذي يحول بين المكونات الأخرى للشخصية ومثل ذلك التنظيم أو غيره من التنظيمات العلمية الأخرى؟ وقد تكون هذه التنظيمات هي المدخل العلمي

الصحيح لدراسة الجوانب الخصبة للشخصية، وعندما ينسب الخفي إلى المعلوم، فإن ذلك يقود الباحثين إلى الكشف عن الخفي والمجهول.

أبعاد الشخصية:

عندما يستجيب الفرد استجابة محددة في مواجهته لموقف أو لشخص أو لجماعة من الأشخاص، فإننا لا نستطيع أن نفهم هذه الاستجابة فهماً علمياً صحيحاً دون أن ننسبها إلى المكونات الرئيسية لشخصية ذلك الفرد، مهما كان نوع هذه المكونات، جسمية كانت أم عقلية، أم مزاجية أم دينامية. ولذلك من الأهمية بمكان أن ننسب هذه المكونات في أبعاد الشخصية: التي يجب تحديدها حتى يمكن تحديد سلوك الفرد تحديداً علمياً واضحاً.

هذا ويُعد إيزنك Eysenck أول من تناول مشكلة أبعاد الشخصية بالدراسة والتحليل في كتابه الذي صدر سنة ١٩٤٧م بعنوان Dimension of Personality وقد استطاع كاتل Cattell سنة ١٩٦٥م أن يُحدد هذه الأبعاد بإيجاز في كتابه The Scientific Analysis of Personality في ثلاث نواحي رئيسية كما يلي:

١- القدرات العقلية: ويدل هذا البُعد على الاستجابات المعرفية التي تنطوي على وضوح الهدف الذي يسعى الفرد لتحقيقه، في موقف معقد. ومن أمثلة هذا البعد، الذكاء وقدراته الطائفية.

٢- السمات المزاجية: ويدل هذا البعد على الاستجابات الانفعالية. ومن أمثلة هذا البعد الاتزان الانفعالي، والتوتر، والألفة.

٣- الموجهات الدينامية: ويدل هذا البعد على الدوافع. ومن أمثلة هذا البعد الاتجاهات والحاجات.

هذا ويمكن أن يُضاف إلى هذه الأبعاد بُعداً رابعاً حتى تكمل الصورة الصحيحة لمكونات الشخصية. ذلك هو بعد الاستجابات البدنية وصفاتها التكوينية والوظيفية. وبذلك تكمل أبعاد الشخصية في جوانبها المختلفة.